

الوحدات العسكرية لمقاتلي التحرّر والحريّة الشيوعية خلال الثورة الجزائرية (1955-1956).

Military units of the communist liberation and freedom fighters during the Algerian

Revolution of 1955-1956.

¹ د/ حمري عيسى HAMERI Aissa² ط.د./يدر بن عبد الله YEDDER Benabdallah¹ جامعة الجبالي بونعامة خميس مليانة a.hamri@univ-dbk.m.dz² جامعة يحي فارس المدية yedder.benabdallah@univ-medea.dz

الإيميل: hamri@univ-dbk.m.dz

المؤلف المرسل: د/ حمري عيسى HAMERI Aissa

تاريخ النشر: 2025 / 06 / 04

تاريخ القبول: 2025 / 05 / 09

تاريخ الاستلام: 2025 / 01 / 25

الملخص:

قرر قادة الحزب الشيوعي الجزائري الدخول في الكفاح المسلح أثناء الثورة التحريرية، وعليه تمّ تنظيم وحدات قتالية مسلحة خاصة بهم سُمّيت بـ "مقاتلي التحرر والحريّة"، ثمّ سعوا للاتصال بجهة التحرير الوطني بعد ذلك، ولعلّ ما قام به هنري مايو من اختطاف شاحنة الاسلحة، وإعطاء جزء منها لجيش التحرير الوطني هو محاولة للتعبير عن إرادتهم في التعاون مع جهة التحرير التي تمّت تحيّتها عبر صحافتهم، غير أن قادة جيش التحرير كانوا مترددين وأقاموا حاجزا أمام الشيوعيين، إذ اشتروا عليهم حل تنظيمهم وانضمامهم بشكل فردي تحت راية جهة التحرير الوطني مثلما فعلت بقية الأحزاب الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الحزب الشيوعي الجزائري، الثورة الجزائرية، مقاتلي التحرر والحريّة، هنري مايو.

Abstract:

The leaders of the Algerian Communist Party decided to enter into armed struggle during the liberation revolution. Accordingly, they organized their own armed combat units called "Liberation and Freedom Fighters." Then they sought to contact the National Liberation Front. What Henri Maillot did in kidnapping the weapons truck and giving part of it to the National Liberation Army might be an

attempt to express their will to cooperate with the National Liberation Front, which was saluted through their press. However, the leaders of the National Liberation Army were hesitant and set up a barrier in front of the communists, as they stipulated that they dissolve their organization and join individually under the banner of the National Liberation Front, as the rest of the other parties did.

Keywords: the Algerian Communist Party; the liberation revolution; Freedom and liberation fighters; Henri Maillot.

1. مقدمة:

أعلن الحزب الشيوعي الجزائري المرتبط بالحزب الشيوعي الفرنسي معارضته للثورة الجزائرية منذ اندلاعها وأظهر موقفا سلبيا منها، حيث أصدر بيانا أعلن فيه المكتب السياسي للحزب إدانته للثورة التحريرية ورفضه القاطع لها، كما حاول الحزب الشيوعي الجزائري في نفس الوقت أن يظهر للشعب الجزائري أنه حريص على مصلحة الأمة، وحتى بعد الانتصارات التي حققتها الثورة في الداخل والخارج إلا أن الحزب الشيوعي الجزائري ظل معارضا لها ومشككا في مبادئ جبهة التحرير الوطني وقدراتها، كما حاول تحريض الطبقات الكادحة من الشعب الجزائري على مقاطعتها ومناهضتها، لكنه سعى في الوقت نفسه إلى تكوين قوة مسلحة موازية تحت اسم “مقاتلون من أجل الحرية” أو مقاتلي التحرر الشيوعية، إلا أن هذه التجربة فشلت في المهد، وبذلك وضع الشيوعيون الجزائريون حداً لنشاطهم.

2. موقف الحزب الشيوعي من الثورة التحريرية.

لم يكن لدى الحزب الشيوعي الجزائري PCA مقر رئيسي في باريس، إذ مثله دائما الحزب الشيوعي الفرنسي PCF، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد شارك الحزب الشيوعي الفرنسي في القمع الوحشي للجزائريين أثناء مجازر 08 ماي 1945م، وسعى لإبقاء الحزب الشيوعي الجزائري دائما في تبعية كلية إليه، كما تم اعتبار الحزب الشيوعي الجزائري دائما كجزء من الاتحاد الفدرالي للحزب الشيوعي الفرنسي، فحتى في الاتحاد السوفييتي كانت المساواة غير موجودة حقيقة بين الشعوب ورجال الدولة. فجميع المديرين كانوا من الروس والظروف المعيشية لم تكن هي نفسها بين المسؤولين والعمال.¹

إنّ موقف الحزب الشيوعي من الثورة التحريرية كان واضحاً منذ البداية، إذ اعتبر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري أن المسؤوليات الأساسية في هذه الأحداث تقع كليّة على الاستعمار وعلى الذين يعارضون المطالب الشرعية للشعب الجزائري²، حيث كتبت يومية "الجزائر الجمهورية" *Algérie Républicaine* المحسوبة على الشيوعيين في يوم 02 نوفمبر 1954م على صفحتها ثمانية مقالات تشير جميعها إلى الأعمال المسلحة التي وقعت عشية الفاتح من نوفمبر، ومذكرة بمواقف عديدة على شاكلة وضع حد للنظام الكولونيالي من خلال مفاوضات مع الممثل الحقيقي للشعب الجزائري، تفاديا لتكرار مآسي مدغشقر وفيتنام.³

لم يرغب الحزب الشيوعي الجزائري بالمشاركة في الثورة التحريرية عندما اندلعت في الأول من نوفمبر 1954م، وهذا لسبب بسيط وهو أنّ هناك العديد من الشيوعيين من أصل أوروبي في الحزب الشيوعي الجزائري، وخاصة في الهيئات القيادية، لكن الأوروبيين كانوا أصحاب امتيازات، ولم يرغبوا في المشاركة في الثورة التي من شأنها أن تسمح للجزائريين بإعادة اكتشاف شخصيتهم المقموعة، لكنهم لم يصدقوا أن الجزائريين قادرين على القيام بثورة، وكان لدى هؤلاء الثوريين المزعومين أي الشيوعيين ازدراء للشعب الجزائري بالكاد تحجبه الأدبيات الفارغة لهذا التيار، ولم يكن الشيوعيون، وخاصة الأوروبيين منهم، من المؤيدين المتحمسين لثورة لم يقودوها. فقد كانت مصلحة الجزائر عندهم في المرتبة الثانية، كما توقع الشيوعيون كل شيء من فرنسا، فهي وحدها القادرة حسبهم على تسوية الوضع في الجزائر، ولكن في الوقت الذي تعزّزت فيه مكانة الثورة، سعى الحزب الشيوعي الجزائري إلى المساهمة في حرب التحرير، وعليه فقد حاول الشيوعيون في البداية إلى إنشاء مقاومة في المناطق المحيطة بتنس Ténès وعين الدفلى ⁴ Lamartine و Duperré.

خلال الثورة الجزائرية (1955-1956).

إنّ بيان 08 نوفمبر 1954م الذي أصدره الحزب الشيوعي جاء فيه " وفاء لتعاليم لينين، لا يقبل الحزب الشيوعي أفعالا فردية من شأنها أن تساعد الاستعماريين ، والتي ربما جاءت بتدبير من هؤلاء الأخيرين، وأنّ الحزب يؤكّد تضامنه مع الشعب الجزائري في معارضته للقمع ودفاعه عن حقوقه..." لكنّ النواب الشيوعيين قد صوّتوا بعد ذلك على قانون منح السلطات الاستثنائية للحكومة الفرنسية في 12 مارس 1956م، تلك السلطات التي فتحت الباب للتجاوزات و الأعمال الإجرامية للمستعمر، إضافة إلى رفضهم تأييد المدعّوين للخدمة العسكرية في مظاهراتهم ضد التجنيد.⁵

يؤكد إيف كورير في هذا السياق بأنّ مناضلي الحزب الشيوعي المسلمين وعلى رأسهم بشير حاج علي، وعكاشة، وهجرس، تعاطفوا مع اندلاع الثورة بخلاف المناضلين الأوربيين⁶، ولذلك اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري سرّاً في باب الواد شهر جوان 1955م وقررت إنشاء أفواج المكافحين من أجل التحرر (Groupes des Combattants de Liberation)، وقد عملت هذه الأفواج تحت إشراف بشير حاج علي والصادق هجرس و جاك سالور Jacques Salort، و لوسيت ماناراناش Lucette Manaranche، و كاميل لاريبار Camille Larribere، ثمّ تطوّرت سياسة الحزب الشيوعي بعد ذلك، ففي 31 أكتوبر 1956م أعلن أن هذا السلم ممكن إذا اعترفت الإدارة الفرنسية رسميا بالشخصية الوطنية الجزائرية وبحقها في الاستقلال، ويقترح الحزب بذلك مفاوضات جادة مع جبهة التحرير والشعب للوصول إلى حل سلمي.⁷

بقيت محاولات الحزب في لقاء قادة جبهة التحرير دون نتيجة تُذكر إلى غاية شهر ماي 1956م، عندما قرّر الحزب الشيوعي من خلال سعي بعض أعضائه إلى الكفاح من خلال إنشاء قوة قادرة على خوض حرب العصابات وقادرة أيضا على السيطرة على مساحة ولو صغيرة ترفع شعار الشيوعيين " المطرقة والمنجل"، حيث حاولوا من خلال ذلك أن يحصلوا ولو على جزء من غنيمة الانتصار، أو تحول دون حرمانهم منها ذات يوم.⁸

3. نشاط هنري مايو:

يعتبر هنري مايو Henri Maillot هو من فرنسيي الجزائر، وقد تأثر بالعمل النقابي الذي كان يمارسه أبوه. كان مايو عضوا ناشطا في الحزب الشيوعي الفرنسي، ورغم الموقف المعادي الذي اتخذته حزبه من الثورة الجزائرية إلا أنّ ذلك لم يمنعه وأمثاله من المناضلين اليساريين من الحركة الشيوعية من إظهار تعاطفهم مع معاناة الشعب الجزائري من ما كان يلاقه من قهر وظلم واستبداد. وتحوّل هذا الشعور بعد ذلك إلى قناعة تامة لدى هؤلاء المناضلين بعدالة المبادئ التي تناضل من أجلها جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، والمعلنة في بيان الفاتح من نوفمبر 1954م.

تعتبر قضية المرشح هنري مايو من أحسن ما يوضح هذه الفكرة والأخطار المحيطة بها وبأصحابها، ففي فجر يوم 04 أبريل 1956م غادرت مدينة مليانة شاحنة عسكرية محملة بالأسلحة، ووصلت إلى هدفها قبل الساعة التاسعة صباحا، وبمجرد أن نزل منها حراسها للبحث عن شيء ما يأكلونه، صعد هنري مايو إلى الشاحنة رفقة السائق بريفات جاك دوميرق J - Domergue - Private، وأمره أن يواصل سيره نحو غابة بينام الواقعة غرب مدينة الجزائر، وقد عُثر فيما بعد على تلك الشاحنة كما عُثر على السائق مربوطا في شجرة.⁹

ورغم أنّ الشيوعيين كانت بحوزتهم الأسلحة التي قام المرشح مايو Maillot بتحويلها أثناء نقلها من مليانة إلى الجزائر العاصمة إلا أنّ المقاومة الشيوعية لم تتمكن من الصمود طويلاً لسببين أساسيين هما: تعلق الناس بعمق بالإسلام، وأن الشعب الجزائري أصبح يعرف مصالحه ويدرك مكنن وطنيته بسبب الأخطاء السياسية الجسيمة التي ارتكبتها الحزب الشيوعي الجزائري سابقاً، و بذلك لن يدعم إلا جبهة التحرير الوطني التي يتوافق هدفها مع تطلعاته، كما كان الحزب الشيوعي الجزائري يفتقد إلى الخبرة، ولم يكن تنظيمه الشبه عسكري قوياً.¹⁰

احتوت حمولة الشاحنة على 126 قطعة سلاح رشاش و62 بندقية و84 مسدسا و الآلاف من الخراطيش، وهو ما يكفي لتسليح كتيبتين، إضافة إلى العديد من الجماعات الفدائية. وهو بداية نشاط أفواج المكافحين من أجل التحرّر في الميدان. ولم يكن تاريخ اللقاء بين الشيوعيين وجبهة التحرير الوطني محض صدفة بعد الحصول على هذه الشحنة من الأسلحة من قبل الشيوعيين الذين نظموا ذلك الاتصال بجهد مقاتلي التحرر لمدينة الجزائر، إذ نجد جبهة التحرير قبل شهر ماي 1956م وحتى بعده تقدم انتقادات شديدة للحزب الشيوعي ولا تبحث عن لقاءه، رغم أنّ هذا الأخير دخل في العمل المسلح منذ نهاية سنة 1955م، لكن عملية هنري مايو وجماعته جعلت قادة جبهة التحرير يدخلون في اتصالات مع الحزب الشيوعي لتحقيق هدفين هما الاستفادة من الأسلحة التي كسبها مقاتلو التحرّر، وإيقاف أيّ دعم لصالح هؤلاء الشيوعيين، وهذا حتى تضعهم الجبهة أمام الأمر الواقع إذ لا يمكنهم المشاركة إلا بعد تلبية طلباتها.¹¹

أرسل مايو رسالة يوضح فيها الأسباب والخلفيات التي دفعته إلى اتخاذ قرار فراره من الجيش الفرنسي والانضمام لصفوف جيش التحرير الوطني وتنفيذ الحملات الصحفية المغرضة التي شنتها عليه بعض الأقاليم الفرنسية ذات الاتجاه اليميني والتي اتهمته بالخيانة العظمى. ومما جاء في رسالة مايو: " عندما ينتفض الشعب الجزائري ضد الاستغلال الاستعماري، فإن مكاني هو إلى جانب هؤلاء الذين يمارسون حرب التحرير... وعندما أقدم السلاح إلى المناضلين الجزائريين، أعرف أنني أخدم وطني، وكل عمال أوروبا المخدوعين".¹²

أمّا فيما يخص الأسلحة التي هُزّبت من ثكنة مليانة من طرف هنري مايو فقد سُلم جزء منها إلى جيش التحرير، أمّا ما بقي منها فقد وُزعت في شهر أفريل للمحاربين الشيوعيين¹³، وُزعت تلك الأسلحة على أفواج مقاتلي التحرّر ومنها المجموعات الشيوعية المتمركزة في منطقة بني بودوان التي كان يسيطر عليها مسلحي الباشاغا بوعلام الموالي لفرنسا، وأمّا جبهة التحرير فلم تستلم منها إلا عشر رشاشات، ومن جهة أخرى نسجل تحرك المجموعات الشيوعية في دوار محاجة و دوار بني راشد بالقرب من الشلف و ناحية جبل بيسة بالقرب من تنس، كما أرسل هنري مايو رسالة إلى الصحف حول الأسلحة يقول فيها: "

لست مسلما بل أنا جزائري من أصل أوروبي، أعتبر الجزائر وطني حينما سلمت الأسلحة التي تستعمل ضد القوات العسكرية و البوليسية فقط، كنت واعيا بأنني خدمت مصالح بلدي و شعبي و العمال الأوروبيين الذين غلّطوا لمدة معينة".¹⁴

فسّر هنري مايو سبب قيامه بتهريب الأسلحة بكونه مناهض للاستعمار وأنّ ما قام به أبعد من أن يكون بمثابة خيانة رغم أصوله الأوربية، وأن ما قام به يخدم المصالح العميقة للأوروبيين أنفسهم ويحفظ علاقاتهم المستقبلية مع الجزائريين موضحا أن جميع الأوروبيين مهما كانت أصولهم لن يكونوا متواطئين مع الاستعمار، وهي فكرة أصبح يتقاسمها حل الشيوعيين في تلك الفترة على اختلاف أصولهم، غير أن ما أدهش زملاءه فعلاً فهو جرائته على القيام بهذا الفعل حيث قال أحدهم "لم أكن أدري أبداً أنه يمتلك روحاً بطولية، فقد كان تواضعه يخفي قوة شخصيته".¹⁵

دعت جريدة ليبرتي المحسوبة على الشيوعيين بأن يحصل أعضاء الحزب على الأسلحة بأية طريقة كانت لتسليح القوات التي ستخوض معركة تحرير الجزائر، و بعد يومين من ذلك صدر بلاغ من مقاتلي الحرية وهو تنظيم لحرب العصابات الشيوعية، يعلن أن هنري مايو قد انضم إلى قوات المقاومة، و قد تضمن البلاغ أيضا قائمة بأسماء الأسلحة المسروقة، وفي 18 ماي 1956م أرسل مايو رسالة في شكل منشور مطبوع على الميميوغراف إلى رفاقه القدماء، و هم فيلق النقل رقم 504 و إلى الشرطة و الصحافة شرح لهم فيه أن انضمامه إلى صفوف المقاتلين الجزائريين إنما هو استجابة منه لنداء حزبه، علما أن المحكمة العسكرية في مدينة الجزائر حكمت عليه غيابيا في 22 ماي 1956م بالإعدام.¹⁶

4. تنظيم مقاتلي الحرية: تجدر الإشارة إلى أنه قبل ثلاثة أشهر من حل الحزب الشيوعي الجزائري في 20 جوان 1955، عقد الحزب دورة للجنة المركزية في باب الواد تمّ على إثرها الاتفاق على قرار تفجير الكفاح المسلح و المشاركة المباشرة في الثورة ضد الاستعمار، وتم بذلك خلق وحدات مسلحة خاصة به

خلال الثورة الجزائرية (1955-1956).

سُميت بمحاربي التحرر والحرية CDL ، ليس من أجل أن يكونوا منافساً لقوات جيش التحرير الوطني كما يقولون ولكن لكي لا يبقى الحزب الشيوعي على هامش المعركة التاريخية، وأنه عبّر عن إرادته في التعاون مع جبهة التحرير التي تمت تحتها عبر صحافة الشيوعيين، غير أن قادة جيش التحرير كانوا مترددين عملاً بمقولة " التنظيم الشيوعي " وإقامة حاجز أمام الشيوعيين قصد تحييدهم وحصرهم في دائرتهم حسب عمر أوزقان.¹⁷

كُلف مسؤولو المناطق بمهمة انتقاء المناضلين بهدف العمل العسكري قبل جوان 1955م، وعلى هذا الأساس قام عبد القادر بابو مسؤول منطقة متيجة و الشلف بعدة مهمات من أجل تحقيق ذلك، وفي ربيع 1955م قام بإحصاء الإمكانات الموجودة في تعداد الرجال الذين تتوفر فيهم استعدادات لضمهم في منظمة شبه عسكرية، ثم انتقل بعد ذلك في مرحلة ثانية إلى تنظيم شبكات و جماعات قتالية على مستوى خمسة مراكز أساسية منها شرشال، عين الدفلى، الشلف، وتنس، وكان يتعين على هذه المهمة أن تُنفذ تماشياً مع تحقيق هدف آخر وهو الاتصال بجبهة التحرير قبل كل شيء.¹⁸

حيث قام مصطفى سعدون بجمع 150 مناضلاً تمّ تنظيمهم لتشكيل جماعات قتالية، و قد شهد الحزب تأثيراً مميّزاً على مستوى مدينة الشلف، بفضل عمل أحد المعلمين القدامى المعروف باسم كيوار، وأحد الإسكافيين المعروف باسم شاوي، ومناضلون آخرون من أصول أوروبية مثل مونتاني Montagne، ورئيس الجراحين في المستشفى الدكتور مارتيني Martini على وجه الخصوص، كما كان هناك خمسة عشر مناضلاً آخر على استعداد لتنظيم جماعات مسلحة بمنطقة الشلف، بالإضافة إلى هذا فقد شكل الحزب أيضاً في منطقة تنس أربع جماعات مسلحة تضمّ في المجموع اثني عشر عنصراً، وكان ثمة ثلاث خلايا تابعة للحزب ساهم فيها الدكتور ماسبوف Masseboeuf الساكن في تنس بخدماته كطبيب ، إضافة إلى قيامه بدور آخر له علاقة بالاتصال و اللجوء، كما كان من بين مناضلي تنس شاب شيوعي من أصل يهودي التحق بالثورة، وقدم خدماته على مستوى مصلحة الصحة للولاية الرابعة باسم مستعار هو الحاج، و كان سي مُجدّ يقدره كثيراً، وقد قتل بصاروخ أطلقته طائرة في 1956م.¹⁹

أما المناضل الشيوعي فوران قد إلحق بدوره بمعقل الثورة سنة 1956م بمنطقة الشلف ، كما أشرف عضوين من الحزب الشيوعي هما مصطفى سعدون و عبد الحميد بوضياف على تأسيس فوج من المكافحين بمنطقة الظهرة و ضواحي شرشال و تنس، إلى جانب تأسيس فوج آخر بمنطقة الشلف يقوده الدكتور مارتيني و الذي كان له علاقة تعاون وطيدة مع عبد القادر بابو الذي أسس أفواجا في مدينة البليلة، للمساعدة على إسعاف الجرحى وتوفير الأدوية و تهيئة المخابئ و دعم الاتصالات ،وجاء تأسيس هذه الأفواج تحت تسمية " مقاتلي التحرّر " و تمت المصادقة على ذلك بناء على قرار تبناه الحزب الشيوعي في نهاية صيف 1955م.²⁰

استقرّ موريس لابان بمدينة عين الدفلى بعد فشله في تكوين فوج في مارس 1956م بجبال الأوراس، وبعد نفيه إلى عين الدفلى إلحق به المناضل حميد قراب بعد أن فرّ من الجيش الفرنسي وهو برتبة ملازم وتبعه هنري مايو برتبة مساعد أول، بعد أن فرّ هو الآخر من الجيش الفرنسي في 06 أبريل 1956م حاملا معه تلك الشاحنة المعبأة بالأسلحة، كما انضم إلى هذا الفوج مُجدّ بوعلام مسؤول نقابة عمال الميناء بوهران.²¹

وبعد تنظيم تلك الجماعات في منطقة الشلف وتحديدًا على مستوى الظهرة (تنس - شرشال) و(واد الفضة عين الدفلى)، تمّ إنشاء وحدة لمقاتلي التحرّر تضم مصطفى سعدون، حميد قراب، موريس لابان، مُجدّ بوعلام، هنري مايو، و قد اختارت الجماعة موقعها في ملجأ آمن ببني راشد، كان عبارة عن مقر لعائلة سايح التي تحوز على أملاك عقارية كبيرة، وكان أحد أفرادها ممثلاً في شخص روبري مُجدّ سايح رئيس المجلس الجزائري الذي تبنى رأي فرحات عباس لوقت وجيز، و قد أجبر على الانسحاب بعد أول نوفمبر مع جبهة و جيش التحرير.²²

يقول بشير حاج علي عن هذا التمرکز في الشلف أنه كان: " بمنطقة حيث كان الحزب الشيوعي الجزائري يتمتع فيها بتأثير كبير مثلما قدمت هذه المنطقة لجيش التحرير وجبهة التحرير العديد من الإطارات والقوى من أجل الكفاح المسلح وتدعيمه. أعتقد أنه لا يمكن للمؤرخين المنصفين أن يكونوا غير عارفين لحقيقة هذه المنطقة أين كان للحزب الشيوعي الجزائري فيها تقاليد قديمة وتواجد مُمَيَّز، وتبدو هذه الملاحظة صائبة، علما أن الشيوعيين تعثروا في مسألة التجنيد حتى يمكن للتنظيم العسكري أن يبقى مستمرا، إضافة إلى الانتشار الواسع والمستمر لجبهة وجيش التحرير في المنطقة والذي لا يقبل بمنافسين له، صحيح أن قادة الحزب الشيوعي الجزائري يؤكدون بأن إنشاء تنظيم مقاتلي التحرر لم يكن يمثل بالنسبة لهم سوى وسيلة للاستجابة لأمال العديد من المناضلين بالمشاركة في المعركة دون روح للمنافسة مع غيرهم، بينما بقي البحث عن الاتصال مع جبهة التحرير أمرا مؤجلا، وأن مقاتلي التحرر كانوا متابعين من قبل الإدارة الفرنسية مما جعلهم عرضة للمخاطر دون الدفاع عن أنفسهم.²³

وفي هذا المقام بخصوص إنشاء تنظيم مقاتلي التحرر يقول بشير حاج علي " اتخذ الحزب قرار إنشاء جماعات مسلحة. لماذا؟ لأنه منذ شهور كان يبحث كيف يمكنه الاتصال مع جبهة التحرير حتى يتمكن الرفقاء من الالتحاق بالكفاح بالجلال، إمتا لأن هؤلاء كانوا متابعين من قبل المستعمر الفرنسي ويريدون تجنب الاعتقالات، أو كانوا يريدون - و الأمران هنا مترابطان في إطار سياسة كفاح الحزب المعادي للاستعمار - المشاركة في الكفاح المسلح، وقدكنا لمدة شهور نبحث عن إمكانية الإتصال بجبهة التحرير، غير أننا لم نتمكن من ذلك، ولم يكن أبدا في نوايا الشيوعيين إنشاء قوة أخرى مستقلة لتنافس جبهة التحرير الوطني... ويقبل الحزب الشيوعي مباشرة، وقد اقترح هو نفسه دمج المقاتلين في صفوف جبهة التحرير الوطني بالتأكيد على أنه لن يكون لرفقائنا ارتباط تنظيمي أو سياسي تابع للحزب غير أنه يمكنهم الحفاظ على قناعاتهم السياسية. كانت جبهة التحرير الوطني في نظرنا تنظيما مكوّنا من إخوة لنا في المعركة، فقد كنا نريد ضمّ جهودنا إلى جهودهم".²⁴

5. نهاية التنظيم وانضمامهم للثورة.

كشفت النقاشات التي جرت في محاكمة مقاتلي التحرّر السابقين الذين تمّ إلقاء القبض عليهم عن ما تسميه السلطات الفرنسية بتواطؤ الحزب الشيوعي الجزائري مع جبهة التحرير الوطني، وقيل أن الاتصال قام به رجل يُدعى الصادق ولا أحد من المتهمين في القضية أراد الكشف عن هويته الحقيقية. ويؤكد أنّ محاولات الشيوعيين لقاء قادة جبهة التحرير الوطني بقيت دون نتيجة تُذكر إلى غاية شهر ماي 1956م، حيث عمل بعض أعضاء الحزب الشيوعي حسب ما جاء في المحاكمة من أجل إنشاء قوة قادرة على خوض حرب تمثل شعار الشيوعيين "المطرقة والمنجل".²⁵

وفي تقرير فرنسي يتحصر على التقارب المثير للقلق بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني، يتساءل فيه كاتبه هل يستطيع نظام العدالة أن يرفع هذا الغموض ويرفض نظام الصمت؟ هل ما زلنا نتذكر المحاكمة الشهيرة المعروفة باسم التقديمين؟ وكان أحد المتهمين، الذي استفاد من حكم الترضية، قد أوضح الاتفاق النبيل الذي تمّ بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري، الذي طلب من الجبهة أخيراً في صيف عام 1955م استضافة أحد أصدقاءه المطاردين وهو بشير حاج علي فتمت الموافقة عليه. وتجدر الإشارة إلى أن هذين الصديقين كانا كلاهما أعضاء في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري.²⁶

ومن أجل توحيد النشاط مع جبهة التحرير تمّ اللقاء بين الطرفين في الأيام الأولى من شهر ماي 1956م، إذ قام صديق مشترك بإحضار إلى نفس المنزل شخص يدعى عبان رمضان، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ لجبهة التحرير الوطني فيما بعد، وأشار إلى أنّه على الرغم من كل النوايا الحسنة للمضيف، فإنّ وجود شخصين غير شرعيين في مكان سري بهذا الحجم يشكلان خطراً، وعليه تمّ الاستيلاء على المكان من قبل الدكتور هجرس صادق لأنّه كان قلقاً بشأن هذا الوضع، لكنّه عندما علم بأن الشخص السري الآخر المريب للغاية كان قائدا لجبهة التحرير الوطني، فقد أصبح مهتماً جداً بالأمر، وطلب من صديقه

"التقدمي" ترتيب مقابلة معه، وجدّد طلبه في ربيع عام 1956. و خلال اللقاء نوه عبّان رمضان بالعملية التي قام بها هنري مايو، حيث يشير بشير حاج إلى أنّ عبّان أفصح عن نيّته في ترقية المرشح مايو إلى رتبة ملازم أول وتعيينه بمنطقة القبائل، مما يدلّ على أن مبدأ دمج مقاتلي التحرر كان مقبولا و أن تطبيقه كان من بين إنشغالات قادة جبهة التحرير الوطني.²⁷

في ذلك الوقت كان قد انتقل المضيف للتو إلى شارع 28 هوراس فيرنيه. كما أصبحت الفرصة مواتية أخيراً عندما حضر عبان رمضان إلى شارع إتش فيرنيه لإيوائه هناك برفقة أوعمران، وقد قبلت جبهة التحرير الوطني مبدأ الاجتماع. وبعد بضعة أيام، في ماي أو جوان 1956م، اجتمع في غرفة الجلوس رابعاً غريباً بحيث مثل الحزب الشيوعي بشير حاج علي وصادق هجرس ومن جانب جبهة التحرير عبان رمضان وبن يوسف بن خدة.

أكد بشير حاج علي على اقتراح الشيوعيين بتوسيع الجبهة لتشملهم مع احتفاظهم بحقهم في تنظيم خاص بهم واستقلالية سياسية على أساس برنامج مشترك، غير أنّ قيادة جبهة التحرير الوطني رفضت طلبهم واقترحت عليهم حل تنظيمهم وانضمامهم بشكل فردي، وفي انتظار ذلك اقترح عبان رمضان تعاوناً بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري بالجزائر العاصمة في العديد من الميادين منها تزوير بطاقات التعريف السرية وتوفير الملاجئ وجمع الأدوية والملابس و المئونة وكذا تسليم الأسلحة التي نجح هنري مايو²⁸ بالاستلاء عليها، يمكننا أن نتفق على أن الاجتماع كان في القمة.²⁹

من هو صادق ؟ من هو ذلك الأوروبي القصير القامة أسود الشعر الذي حضر الاجتماع الثاني في شارع إتش فيرنيه بالجزائر العاصمة؟ وفي مقابلة ثانية، بعد شهر، جمعت: بن خدة، بشير حاج علي، وأوروبي، كانت صورته التي رسمتها المضيفة هي كما يلي: «صغير - بني - يبلغ من العمر حوالي 35 عامًا، يبدو مريضاً، وشعره أملس» (صورة تشبه بشكل مثير للقلق صورة Jacques SALORD جاك سالور، المساعد السابق لرئيس بلدية الحراش. يمكن أن يلقي هذان السؤالان اللذان تم حللها ضوءاً جديداً على

نقاش حاسم حيث لا يمكن أن يكون هناك عملية تهدئة. هنا لا يوجد ضمير ولا ضمير مضطرب. فقط النشاط المقنعون والمتحمسون ، المدركون لأفعالهم وعواقبها.³⁰

كان موقف حاج علي وصادق هجرس واضحاً بحيث رفضا حل الحزب الشيوعي، وتم عرض هذا الموقف على عبان رمضان وابن يوسف بن خدة ممثلي جبهة التحرير، إلا أن هذين الأخيرين تمسكا بمطلب حل الحزب كشرط أساسي للانضمام، غير أن العمل المثير الذي خطط له هنري مايو بإحكام والمتمثل في الاستيلاء على شحنة الأسلحة الخاصة بالجيش الفرنسي ومنح جزء منها لجيش التحرير الذي كان في تلك الفترة يفتقر إلى السلاح فتح الطريق إلى عمل موحد بين قيادة الثورة والحزب الشيوعي الجزائري بالرغم من الخلافات القائمة.³¹

ولا يمكن لأحد أن يتجاهل أن هذه الاجتماعات هي التي تقرّر خلالها حل مقاتلي التحرّر الشيوعية ودمجها في جبهة التحرير وكذا منشورات الهيئة السرية للحزب الشيوعي الجزائري ، "من أجل أمة جزائرية حرة ومستقلة"، وأما بخصوص الاتفاق التي تمّ التوصل إليه بين قيّادة جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري. فمن المهم الكشف عن حقيقة أنّه لا يوجد مناضلون شيوعيون انضموا إلى الجبهة بشكل فردي بمبادرتهم الخاصة ، بل هناك فقط المناضلون المنضبطون الذين أطاعوا قيادة الحزب وقاموا ببناءً على أمرها بتنفيذ الاندماج الذي قرره أعضاء الحزب. ولذلك وصفت التقارير السرية الفرنسية المحاكمة التي مست الشيوعيين بمحاكمة العمل الإرهابي للحزب الشيوعي الجزائري الذي فوّض موارده لجبهة التحرير الوطني لاستخدامها كضمان وتعهّد بالإخلاص السياسي.³²

وفي أفريل 1956م حاول الشيوعيون إيجاد مكان لهم بمنطقة بني بودوان إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل على غرار محاولة كومندوس العقيد غارديس Gardis التي وقعت في نفس المنطقة، ومن خلال السلاح الذي هربه هنري مايو حاولت المجموعة الصغيرة التحضير لعملية بني راشد قرب لامارتين (الكرمية حاليا) ،

خلال الثورة الجزائرية (1955-1956).

وقد كانت هذه العملية هي الأولى و الأخيرة من نوعها لمقاتلي الحرية، لأن الفوج (مشاة) وقع في عملية فتّم القضاء عليهم وكان من بينهم هنري مايو و لابان.³³

وهكذا سقطت المقاومة الشيوعية بسرعة، ففي بني بودوان كان الباشاغا بوعلام يدفع السكان لمواجهة الشيوعيين، ثمّ إنّ وجود الأوروبيين (مايو ولابان) جعل المدنيين يعتقدون أنّ الأمر يتعلق بمناورة فرنسية وأنّ المتسلّلين كانوا عملاء للعدو، ولكن بعد ذلك استقرت جبهة التحرير الوطني في المنطقة وحصلت على دعم الجماهير.³⁴

أما عن ملابسات القضية في تصفية قادة الشيوعيين وعلى رأسهم هنري مايو وموريس لابان فتتمثّل في أنّ مايو طلب من أحد الفلاحين أن يذهب إلى مدينة الشلف ليشتري له جريدة وبعض المأكولات، فاستغرب البقال أن يطلب فلاح فقير شراء هذه الأمور المحصور طلبها على الأوروبيين، فأبلغ الشرطة التي اعتقلت الفلاح، فدلّ على موقع مايو ورفقائه 30 فردا.³⁵

في 14 سبتمبر 1956م، قامت الشرطة الفرنسية باختطاف ثلاثين فرداً من الشيوعيين، كان من بينهم خمسة أوريبيين منهم الدكتور مارتيني، وقد ادعت الشرطة يومها أنّ المنظمة الشيوعية كانت تساعد الثوار في الحصول على الأسلحة والذخيرة، وتوفير الطعام و المخبأ، واستمرار الاغتيالات، واستعمال العنف، والتحضير للأعمال التخريبية لخطوط السكك الحديدية، ولم ينج إلاّ عضوين فقط من المجموعة الشيوعية وهما لوسيان أحماو غراب الفار من الجيش الفرنسي، ومُجد بوعلام، وكلا الرجلين اختبئا لبعض الوقت عند الدكتور ميشال مارتيني الجراح الرئيسي في مستشفى أورليانفيل (الشلف).³⁶ وبعدها بقيّ الحزب الشيوعي متحفظا بإدارته السّرية لفترة زمنية معينة بعد حلّه من طرف الإدارة الفرنسية، فإنّه قد خضع في نهاية المطاف إلى الأمر الواقع، و أعطى تعليمات لمناضليه كي ينضموا إلى جبهة و جيش التحرير ابتداء من 01 جويلية 1956.³⁷

ورغم ترحيب جبهة التحرير الوطني ببعض الشيوعيين الذين أفلتوا من تطويق بني بودوان، إلا أنه لا يجب أن ننسى أبداً أنّ مناضلي جبهة التحرير الوطني يقاتلون من أجل الوطن، وأنّ الجزائر تأتي قبل روسيا وفرنسا، فالحرب قام بها الشعب من أجل الشعب، وأنّه لم يكن لدى الشيوعيين أبداً ثقة في الشعب. وأنهم لم يصدّقوا بأنّ هذا الشعب قادر على صنع تلك الملمحة العظيمة التي كُتِب لها تحقيق الاستقلال. فقد سبق للحزب الشيوعي أن طالب بالاندماج في إطار مشروع بلوم فيوليت والاتحاد الفرنسي، أمّا فيما يخص قضية الإسلام، فقد كان الشعب الجزائري متديناً بعمق، وفرنسا هاجمت الإسلام. والشيوعيون كانوا ضد الدين.³⁸

وبالولاية الرابعة تمّ تكليف عمر أوصديق بدمج مقاتلي التحرّر في جيش التحرير، وقد كان هذا الاختيار مقصوداً فإمّا يضطلع عمر أوصديق بهذه المهمة بلطف ومراعاة وبذلك يخاطر بالكثير، أو ينجز الأمر بصرامة ويقطع نفسه عن حلفاء محتملين، وطُلب منه تقديم ضمانات استناداً للرائد سي عز الدين، فإن أوصديق وجههم في البداية نحو وجهة تغلب عليها المناطق الصعبة، ولكن رغم ذلك يجب التأكيد بأنّ الكثير منهم قدموا تضحيات جليلة والكثير منهم سقط في ساحة الشرف، و بذلك انتهت مغامرة مقاتلي الحرية و تمّ حل كل التشكيلات الشيوعية و انضمت إلى الثورة التحريرية.³⁹

6. خاتمة:

اختلف الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي لأنه موجود في التراب الجزائري، ولأنّ ثلثي لجنته المركزية جزائريون، لكن منطلقاتهم الفكرية كانت متشابهة وواحدة، إذ أنّ الشيوعيين كانوا يربطون تحرّر الجزائر بنتائج الكفاح ضد الاستعمار والإمبريالية بفرنسا، ويجدر التنبيه إلى أن بعض الشيوعيين تعالوا عن موقف حزيم والتحقوا بجبهة التحرير الوطني دون انتظار أي اتفاق بين جبهة التحرير والحزب الشيوعي.

خلال الثورة الجزائرية (1955-1956).

كان الشيوعيون لا يحضون بالثقة من طرف مسؤولي الثورة التحريرية بسبب مواقفهم السابقة من موضوع الإدماج، ولأنّ منهم إطارات ذات تجربة سياسية وعسكرية هامة فقد وُزّعوا عبر الوطن وتجنبت قيادة الثورة منحهم مسؤوليات في جيش التحرير، وتكفل عمر أوصديق بتوزيعهم، وفرض عليهم احترام وانضباط جبهة التحرير. وبإدماجهم كأفراد نجحوا في خدمة الثورة، وعلى الرغم من كل هذا فان العديد منهم إلتحق بالثورة لوحده دون التقيّد بتنظيمه، كما يجب التنويه أيضاً بأنّ العديد منهم سقط في ميدان الشرف دفاعاً عن الجزائر.

7. هوامش:

1 SHAT, 1H1615/d1, Documents récupérés sur les rebelles dans le corps d'armée d'Alger, Le PCA et la Guerre de libération.

² بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية، ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الاساسية، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص198.

³ هنري علاق، مذكرات جزائرية، ذكريات الكفاح والآمال، ترجمة: جناح مسعود، عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص203.

4 SHAT, 1H1615/d1, Le PCA et la Guerre de libération.

⁵ بوعلام بن حمودة، مصدر سابق، ص197.

6 Yves COURIERE, Le Temp Des L'éopards, Edition, Rahma, 1993, p294.

⁷ بوعلام بن حمودة، مصدر سابق، ص198.

⁸ محمد تقيّة، الثورة الجزائرية، المصدر، الرمز، المأل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر الجزائر، 2010، ص294.

⁹ أبو القاسم سعد الله، فصل من كتاب الجزائر المضطربة (الحزب الشيوعي وجبهة التحرير: التنافس على الارهاب)، أعمال الملتقى الدولي نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، الجزائر 2005، ص244.

10 SHAT, 1H1615/d1 , Le PCA et la Guerre de libération.

¹¹ محمد تقيّة، الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص294.

¹² بوعلام بن حمودة، مصدر سابق، ص199.

4 Louis Said KERGOAT, Frères contemplatifs en Zone de Combats, algérie 1954-1962(Willaya 4), edition L'Harmattan, paris, 2005, p45.

¹⁴ بوعلام بن حمودة، مصدر سابق، ص 199.

¹⁵ هنري علاق، مصدر سابق، ص 175، 174.

¹⁶ ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 245.

¹⁷ هنري علاق، مصدر سابق، ص 220.

¹⁸ مُجَد تقيّة، الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 283، 284.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 286.

20 Mohamed TEGUIA, L' Armee de Liberation Nationale en Wilaya 4, Edition casbah, Alger 2006, p93

21 Mohamed TEGUIA, OP Cit, p93

²² مُجَد تقيّة، الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 295.

²³ مُجَد تقيّة، الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 297، 298.

²⁴ المصدر نفسه، ص 298، 299.

25 1H1249,d3, Alger –Sahel, Un « mystérieux SADDOK », 5/8/1956,p2.

26 1 H 1249, d.3, démantèlement de l'organisation rebelle 1957-1958, p5.

27 1 H 1249, D 1, Front de libération nationale et communisme, juillet 1957.

²⁸ هنري علاق، مصدر سابق، ص 303.

29 1H1249-3 Alger –Sahel, Les débats du procès des ex-combattants de la Libération, PCA et du FLN.5/8/1956, p4.

30 1 H 1249, d.2, fiches de renseignements sur des français de souche nord-africaine.5/8/1956.

³¹ هنري علاق، مصدر سابق، ص 222.

32 1 H 1249, d.4, action répressive, objectifs, moyens et méthodes de la rébellion 1958.

³³ جاك دو شمان، تاريخ جبهة التحرير الوطني، ترجمة موجد شراز، منشورات ميموني، الجزائر، 2013، ص 145،

146.

34 SHAT, 1H1615/d1, Le PCA et la Guerre de libération.

³⁵ الرائد عز الدين، الفلاحة، ترجمة شعلال جمال، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص274.

³⁶ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص247.

37 Mohamed TEGUIA, OP Cit, p94.

38 SHAT, 1H1615/d1, Le PCA et la Guerre de libération.

³⁹ محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1983، ص123.